الصهيونية المسيحية والصهيونية العربية ترسمان حدود الامة

محمد سعيد ريان*

1 ـ الخروج من اسر الذات المذهبية مطلب الساعة:

نقد الذات العربية والاسلامية التي يمارسها الكثيرون منذ سنوات، تكاد تنحصر في ثلاث دوائر:

أ ـ فئة قد انخلعت عن الذات العربية والاسلامية، ولم تستطع دخول او الحلول في ذات اخرى، وهي لا تملك تشكيل ذات متميزة لها القدرة على الحركة والنماء، هذه الفئة ترى ان النهضة مشروطة بقطيعة مع التراث ومع الماضي، وتقوم بقصف الماضي والتراث من مواقع الآخر الغربي. مستخدمة ادواته ومنطقه، حيث اعتبرت تلك الادوات وذلك المنطق بأنه عالمي، تماما كما يريدها «الغربي» الذي تكثفت عنصريته، فأقصت كل ما عداها.

ب ـ وفئة اخرى تقصف الذات العربية بآليات ومنطق السلفية الاتباعية، هذه السلفية التي تشكلت من خلال عصور الانحطاط عندما قعدت عن الاجتهاد وحاصرت العقل ؟؟ وحركته ضمن مدرسة من المدارس الفقهية الرسمية التي تم اعتمادها.

وكلا الموقفين لم يرتق خطابهما الى مستوى التقييم والنقد، لان من يمارس ذلك، لا بد من ان تتوفر فيه القدرة على الانفصال عن الذات ما وسعه ذلك، لدواعي النظر في الظروف والمحيط والبيئة التي تتحرك فيها ذاته.

ج ـ وهم هؤلاء الذين يميزون بين اكثر من ذات عربية واسلامية، يميزون بين الذات التي تشكلت من خلال المدارس الفقهية المتعددة، او من خلال الاعتراضات المذهبية للفرق المتخاصمة، وبين الذات التي تشكلت على عهد رسول الله والخلفاء الراشدين، وهي الذات الاسلامية، او بتعبير آخر الذات القرآنية التي لم تدم في الممارسة التاريخية طويلا، وهي ذات قد تكثفت فيها التعاليم والمفاهيم والقيم القرآنية فانتجت امة ذات وزن نوعي متميز، هذه الذات والتي استمرت بأشكال متفاوتة، حتى قبيل تشكل المدارس الفقهية. وهي الفترة التي امتدت ما يزيد عن مئة واربعين سنة تقريبا وان كنا الان لسنا بصدد تقييمها او نقدها، او ممارسة عملية تفكيك للظروف التي تمت بها ومعاينتها: هل وقعت في الزمن المناسب والظرف البيئي المطلوب؟ وهل كانت مبادرة ذاتية محسوبة؟ ام كانت ضحية تخطيط عدوها؟ وبغض النظر عن كونها: «مغامرة محسوبة ام غير محسوبة؟ فهذه الامور وان كان لا بد من دراستها بتأن واستيفاء كبيرين، لان اسقاطاتها تطال ليس مستقبل حزب الله او لبنان فقط وانما تتعداه الى المنطقة برمتها كما تشير الى ذلك وزيرة الخارجية الامريكية، فسوف نعود لهذه الاسئلة باختصار.. فاذا نظرنا الى تقاطع المصالح وتشابك الغايات برزت امامنا ثلاثة مواقف كبيرة تشتمل على نقاط اخرى اكثر دقة وتفصيلا.

1 ـ موقف الاستكبار العالمي، كما وصفه الامام الخميني، المتمثل بالولايات المتحدة وحليفته اسرائيل، الولايات المتحدة كقوة عظمى والتي تحاول احتكار ثروات العالم وتصادر قراره وتصفي ارادته.

ـ والى جانبه الاتحاد الاوروبي الذي يحاول ان يتشكل في ظروف صعبة قد سيطرت فيه الولايات المتحدة على مصادر الطاقة في العالم، وبات هذا الاتحاد ينتظر الاحسان والصدقات من المحسن والمتفضل الامريكي، الذي افرغ ارادته وقراراته من مضمونها ومن حرية حركتها وذاتيتها، فتميعت مواقفها السياسية وانحصر دورها ومهمتها في اضفاء صفة الشرعية الدولية على القرار الامريكي.

2 ـ الموقف الاسرائيلي: الذي استطاع ان يقنع الغرب، وخاصة الولايات المتحدة، انها جزء من ثقافته ومن نظامه الديمقراطي وان مصالحها متداخلة مع المصالح الامريكية.. هذا الموقف ناتج في ظل الهيمنة الاشكنازية على القرار الاسرائيلي، ولكن من ينظر عميقا في تواليف المجتمع اليهودي يرى بوضوح الشق الاشكنازي الذي يحفر عميقا في الكيان الاسرائيلي، والذي يظهر بوضوح في ايام الدعة والسلام.

3 ـ الطرف العربي الاسلامي، وهو عبارة عن أطراف متعددة يكيد بعضها لبعض. ويتحرك من خلال المصلحة الضيقة للطائفة والمذهب او العرق اكثر من تحركه في اتجاه مصلحة عربية اسلامية عليا واحدة.

1:3: الموقف السياسي لما يعرف بمحور: حزب الله، سورية، ايران (المحور الشيعي).

2:3: الموقف الفوضوي الدامي في المجال السياسي على اساس من المذهبية والعرقية المشحونة بتاريخ طويل من الحقد والكيد ينفجر في عراق اليوم الذي يلهو بعضه ببعض بشكل يدمي القلوب.

3:3 الموقف الرسمي العربي الذي يشحن هذه الايام بحمولة المذهبية السنية من اجل خلق محور سني في مواجهة المحور الشيعي، ويمكن ملاحظة عدة مواقف ضمن هذا الاطار الذي يحث الخطى محني القائمة ليدخل الي ما يطلق عليه «الشرعية الدولية».

1:3:3: النخب القيادية على المستوى السياسي السلطوي: القومي والديني والتي تراهن على الانسلاخ عن ذاتها العربية الملاحقة والمستهدفة من قبل المشروع الغربي الاستعماري، والذي ينص على اقصاء مبدأ المواجهة والمدافعة من اجندتها، حتى تستطيع دخول نادي «الشرعية الدولية» هذه «الدولية» التي ما قامت في الاساس، الا من اجل محاصرة الممانعة العربية والاسلامية، بعد تفريغها من قيمها وارادتها وتحولت هذه النخب الى وسيط بين ما يسمى «الشرعية الدولية» او بتعبير أدق «الاستكبار العالمي»، وبين جيوب المقاومة والممانعة في داخل شعوبها، اذن هؤلاء نخب بالوكالة!

2:3:3: مجموعات المقاومة والممانعة، والتي تحاول ان ترفض الاملاءات الغربية وممارساتها، وتفتقر بغالبيتها الى المنهجية في التخطيط الواعي، فتختلط لديها في الكثير من ممارساتها لأعمال الممانعة والمقاومة، اعمال وعمليات اخرى يسهل تفسيرها وتصنيفها من قبل الآخر ـ الاقوى اعلاميا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا ـ في خانة التطرف والارهاب، وهذه المجموعات في حقيقتها اما:

1:2:3:3: مجموعات مقاومة انبتتها الظروف الضاغطة من قوى الطاغوت والاستكبار التي تمارس اجراءات الذل والهوان، وهي تنهب الثروات العربية والاسلامية. وسواء مورس هذا الضغط والظلم من قبل الانظمة السلطوية الاستبدادية، او من قبل قوى الاستكبار مباشرة.

2:2:3:3: مجموعات زرعها العدو كمراصد متقدمة في الكيانات العربية والاسلامية، مهمتها ارباك الامة على المستوى الفكري والعقدي وممارسة التضليل والتعمية والانحراف عن الاهداف والغايات النهائية للأمة. بمنع الأمة من وقفة متوازنة مع قضاياها. وهي مجموعات تم تصنيعها وزرعها في كيان الأمة كحالات ورمية وغضبية تتحرك باجر من اعداء الامة. وتعمل في جسد الامة تفتيتا وتمزيقا بتكريس فرض التطرف الطائفي والمذهبي.

3:3:3: السواد الاعظم من الجماهير العربية والاسلامية، والتي تعاني من عدم وضوح الرؤيا والاهداف الحقيقية، سيما وهي تقع بين مواقف النخب السلطوية السياسية والدينية من جهة. ومن جهة اخرى ترقب فعل مجموعات المقاومة على انواعها.. هذه الجماهير تقع بين هذين الضدين من غير ان تمتلك هي ولا تلك الاطراف الاخرى مشروعا متكاملا وخطابا واضحا مستمرا يثير فيها ارادة العمل والمبادرة وحب الانتاج، او تمارس طرح همومها ومشاغلها الجدية والحاضرة، وتجيب عن الاسئلة التي تتحداها! ولهذا لطالما رأينا ونرى حركة هذه الجماهير العفوية والمزاجية، فهي تفور مع سخونة الحدث ثم تستكين زمنا طويلا، فهي لا تعرف الحركة الدؤوبة المستديمة، التي تسعى لتحقيق المصالح والغايات المحددة، او تعمل على تحذير هذه الجماهير في حضورها ومدى تأثيرها في طرح قضاياها الوجودية، هذه الحالات والاوضاع المتعارضة والمتحولة تسببت في المواقف المتعددة والمتعارضة للجماعات العاملة في اطار الامة، ونتج عن هذا التوزع ان تعددت الاسئلة، فلكل فريق اسئلته الخاصة ومشاغله وهمومه. وهكذا اقصي السؤال الكبير الذي ينبغي ان تطرحه الامة، وثارت اسئلة صغيرة على مستوى المجموعات الصغيرة، الامر الذي كرس التمزق والانشقاق وبعثرة الجهود وهي تتحرك في تداخل او تقاطع مع المصالح الفئوية والجماعات المتصارعة.

3: ماذا تحت النوايا الاسرائيلية والامريكية:

يكثر الساسة الامريكيون هذه الايام الحديث عن شرق اوسط جديد في طريقه الى التشكل، وعلى مدى ما نعلم، فان الاوطان والأمم لا تتشكل في مواخير البيت الابيض، وانما تتشكل من خلال عملية تاريخية يمارسها الانسان، عملا وجهدا، اخلاقا وفكرا وثقافة ومعتقدا، هذه المنظومات القيمية والمعرفية تتكثف فتشكل امة ووطنا له من الخصائص والسمات ما يصوغ له هويته وانتماءاته، بينما عملية التخصيب الديمغرافية نجحت فيها اوروبا مع الهنود الحمر في خلوة من التاريخ بعيدة عن اعين الناس، اما المشروع الذي تهدف اليه الادارة الامريكية فلن تستطيع توفير تربته ولا بيئته، فالفتنة المذهبية التي تروج لها اسرائيل وامريكا، هي المحفز الاكبر لتشكيل الذات العربية الاسلامية الواحدة، وخلع هذه المذهبيات من نفوسنا وتركها بين يدي الاستكبار الامريكي يلهي بها غروره وجبروته وكبرياءه عندما اطلق بريجنسكي مقولته ـ وهو يشغل منصب مستشار الامن القومي الامريكي ـ دعوا الاسلام ينمو ويترعرع، قيل له وكيف سيتم استيعابه والسيطرة عليه وهو دين ومبدأ كوني وعالمي؟ اجاب يومها: نحن نعرف كيف نفجر الصراعات فيما بينهم. اذا كان رهانه على الفتن المذهبية، المذهبية والطائفية هي الطريق الى اختراق دفاعات الامة واضعاف مناعتها، فالامة التي تتحرك من خلال تعصبها المذهبي، امة لديها قابلية الاختراق فالامة التي تعاني من منخفض ثقافي واخلاقي، وتمزق المذهبية نسيجها الاخلاقي والاجتماعي لا بد ان تستدعي دواعي اختراقها من قبل اعدائها، وهذا الذي حصل في تاريخ الامة. فان المنخفض الثقافي والاخلاقي الذي تعيشه الامة منذ مئات السنين، استدعى هبوب تيارات ثقافية وعقائدية تغزو الارض والانسان.

منذ فترة والاعلام الاسرائيلي والغربي يتحدث عن الاقلية العلوية التي تتحكم بالاكثرية السنية في سورية، وعن المحور الشيعي، بل ان هناك من بين الحكام العرب من وصفه بمحور الهلال الشيعي. وهناك من بينهم من تحدث عن الولاءات الشيعية العربية لايران!

فماذا تحت النوايا الاسرائيلية والغربية؟

منذ بداية العصر الحديث، واوروبا تعمل على افراغ هذا الشرق من اسباب قوته وابقائه منقسما ضعيفا مشغولا بخصوماته الداخلية بين مذاهبه وطوائفه، فحيث تسود المذهبية ويتم تشكل الذات المذهبية على انقاض الذات التي تخص الامة بمجموعها، وليست «المسألة الشرقية» عنا ببعيد او ما عرف بمسألة «الرجل المريض» الخلافة العثمانية التي كانت تنهش جسدها الطوائف والمذاهب والزوايا والطرق، بقي الامر كذلك حتى تم الاجهاز عليه في الحرب العالمية الاولى بالتعاون مع قوى عربية كانت تطمح من شدة غبائها، ان يتصدق عليها الغرب بالاستقلال وقيام الدولة العربية في المشرق العربي والجزيرة العربية. فما ان انتهت الحرب حتى اعلن عن معاهدة سايكس ـ بيكو واعلان وعد بلفور، وندم العرب على خيانة الغرب لهم، ولم يندموا هم على خيانتهم لانفسهم حتى يومنا هذا، ومكان الدولة العربية الواحدة قامت الدولة القطرية واليوم يقوم المخطط الغربي بتفتيت الدولة القطرية، وبعث الطائفية وتحريك المذهبية، وابعاد قوى الممانعة والمدافعة من صفوف الامة، وبهذا يتم:

1: القضاء على روح المقاومة التي تنبعث بين فترة واخرى مما يعرف بالمحور الشيعي، الذي يتميز ببعث روح المقاومة في الامة ـ خاصة اذا نجحوا، لا قدر الله ـ باخراج سورية ولبنان من هذا المحور، واشغال ايران بمن حولها من تلك الدول التي فجأة تبنت المقولة المذهبية، وباتت تتحدث عن سنة وعن رافضة.

2: وكذلك فان المشروع الغربي يهدف الى القضاء على جيوب المقاومة والممانعة التي تعترض على مشروعه هنا وهناك فيما بات يعرف بالكيان السني.

3: اعتراف الغرب بالامة العربية والاسلامية الموادعة والمستكينة التي تنبذ «الارهاب» وتتبع آثار «الشرعية الدولية» فيتم الحاق عرباتها التي انفصلت عن قطار فوكوياما، عندما استمرأت الحياة في الصحراء، ويحاول «مؤتمر روما» لبحث موضوع الشرق الاوسط في قطر هذه العربات المتخلفة ليتم شحنها الى حيث مدينة الديمقراطية واللبرالية والتي وصل اليها قطار فوكوياما في مشروعه «نهاية التاريخ» اذا هو شرق اوسط جديد يموج بالفتنة الطائفية والمذهبية هي ما تريده اسرائيل وامريكا، ولا يكون الرد عليه من شعوب الشرق الاوسط الا بالخروج من الذات المذهبية الضيقة الى حيث الذات العربية والاسلامية الواحدة، التحول من المشاريع المذهبية المتعددة الى حيث المشروع الاسلامي والعربي الواحد، المطلوب اليوم هو تشكل الذات الاسلامية الواحدة دينا، والذات العربية قوميا، هذه الذات بكل كثافتها ووزنها النوعي هي التي تصمد لكل مشاريع المستكبر الغربي، الذات الواحدة التي تخرج امة واحدة بوجه واحد غير متشابه، اجل، ثم اجل، لا بد من مغامرة في اتجاه الذات الاسلامية، الذات الراشدية، ذات أبي بكر وعمر وعلي، لا بد من مغامرة تحمل لواء الممانعة والمدافعة من جديد، هذا هو الرد، والرد القوي الصريح على المشروع التجزيئي الذي يخطط له الغرب والولايات المتحدة بالذات ـ هذا هو الرد على محاولات الاستكانة والركود والتهجين التي تمارسها الرسميات العربية بنخبها السياسية والدينية، ونحن نطالب اليوم القيادة الايرانية، بشكل خاص، حمل المشروع الاسلامي وخطابه الواضح، من غير تردد. لا بد لها من ان تتقدم لحمل راية الاسلام كما اراده محمد رسول الله وصحابته أبو بكر وعمر وعلي. لا خيار امام ايران اذا ارادت ان تحمل راية الممانعة والمدافعة والمقاومة عن الاسلام ورسالته وان تستمر شعلة المدافعة في هذه الامة من ان تخرج من ضيق المذهب الى سعة الاسلام، انها الراية، وانها راية الاسلام راية ألف واربعمئة مليون من المسلمين وزيادة على ذلك انها راية المعذبين في الارض راية المستضعفين في هذا العالم من كل الامم والشعوب فلا تخذلوا الامة من سنة ومن شيعة فان ما يمر بنا وبالمنطقة العربية والاسلامية قادر على صهر هذه الامة بذواتها المتعددة لتخرج ذات واحدة امة واحدة رسالة واحدة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله!

4: امة واحدة بوجه واحد وذات رسالة واحدة:

اذا كان الغرب والسلطويون العرب والرسمية الدينية يراهنون على هزيمتنا من خلال مذهبيتنا فتعالوا نراهن على انتصارنا من خلال المشروع الاسلامي الواحد، لا بد لكل من ايران وتركيا وباكستان وسورية من ان تنسق فيما بينها وتتخذ المواقف المناسبة من اجل تشكيل ذات اسلامية واضحة وشعوب الامة العربية والاسلامية بشيعتها وسنتها سوف تكون اول من يبادر في الانصهار بهذه الذات، خاصة بعد ان انعزلت عنها قياداتها الرسمية في المستوى السياسي والديني وانحازت الى اعداء الامة وتفصيل ذلك:

1: النفسية السلفية المحافظة والتي تشكلت من خلال التاريخ الاسلامي المتواصل منذ الفترة الاموية والعباسية والاموية الاندلوسية ثم العثمانية، يكاد ان يكون تاريخا متواصلا لاقرب من الف وثلاثمئة عام، وعلى طول هذا المدى التاريخي حكم من عرفوا بأهل السنة هذه المدة الطويلة شكلت ذهنية ونفسية محافظة تكاد ان تكون في غالبيتها نفسية رسمية استاتيكية تراتبية باستثناء بعض مجموعات المقاومة كالسلاجقة والايوبيين والمماليك، الذين تصدوا للزحف الصليبي والتتري، هذه النفسية كانت تستجيب لمؤثرات ومحفزات ظرفية كانت فيها الدولة الاسلامية تحافظ على توازنها وعلى وضع ستاتوكفو مع الآخر، فكانت حروبها حروبا تأديبية على من يخرجون عن طاعتها او يغيرون على حدودها، الى جانب قمعها لحركات داخلية لتمييز ذلك عن روح الفتح الاندفاعية المتحفزة التي كان شعارها «هبي رياح الجنة».

1:1: وتمشيا مع الروح والنفسية الستاتيكية العامة كان لذلك تأثير في المجال الديني، فتأسست المدارس الفقهية. وقامت باقفال باب الاجتهاد، الامر الذي ساعد في تشكيل نفسية تقليدية سلفية اتباعية، بعيدة عن روح النظر والبحث والاستقصاء واستبعدت من حياة الفرد ثم الامة الحديث عن مغامرات في مجال الفكر والثقافة والمعرفة، ورافق ذلك حالة من الوضع السياسي الراكد، والذي لا يُستفز الا اذا وخز مباشرة، فيثور مؤقتا ثم يستسلم للدعة والخمول تمييزا لها عن تلك الروح الفاتحة المغامرة التي رافقت العملية الاسلامية في المئة الاولى من عمرها، هذه الروح الوثابة المنعتقة قد اخذت تخلد الى الارض مع مرور مئات السنين وتحولت الى روح رسمية، لا ترغب ان تخرج على الواقعية.

2:1: الروح الدفاعية تشكلت بعد ان ضعفت الحركة الرسمية، وتقلص نفوذها وخفت مناعتها وزاد تبعثرها بكثرة جماعاتها وطوائفها ومذاهبها، هذا المنخفض العقدي والاخلاقي والثقافي والعسكري استدعى مجيء الحملات الصليبية التي نزلت في ثنايا المساحة التي كان يتناقلها نفوذ كل من الدولة الفاطمية الشيعية في مصر والدولة العباسية في بغداد ممثلة بالسلاجقة والايوبيين والمماليك من بعدهم واخذت الحركة الصليبية تتمدد على حساب المسلمين الفاطميين والعباسيين ومن خلال الفجوة المكانية والنفسية التي تفصلهما وتباعد بينهما.

3:1: ثم سادت روح التراجع والانحطاط والخمول الحرب العالمية الاولى والثانية، والحروب العربية الاسرائيلية وصولا الى وقائع تموز (يوليو) 2006 بين اسرائيل وحزب الله في لبنان تلك الروح المستكينة المسترخية في كل المجالات النفسية المتقاعدة والتي استبطنتها الحالة السلفية التقليدية الاتباعية، على المستوى المعرفي كما هو على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري فاذا كان هناك من يفكر لها من سلفها، وقد اجتهد لها في امور دينها ودنياها فلماذا لا يكون هناك من يدافع عنها او يحارب من اجلها، اجل هذه هي الروح التي يراهن عليها الغرب في دعوته لشرق اوسط جديد هذه الروح المستكينة الراكدة هي التي يقاومها مشروع حزب الله والصمود السوري والشعاع المنطلق من ايران.

2: شيعة ال البيت وهو منهج علي بن ابي طالب، كرم الله وجهه ـ وبنيه واحفاده من آل البيت، منهج علي بن ابي طالب الذي بقي في ذاته الاسلامية التي تشكلت على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام. وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كان علي بن ابي طالب وبنيوه جزءا من تلك الذات الاسلامية كانوا شطرها الصابر المحتسب كانوا شطرها الناصح الذي ما فتئ يردد: «صبر جميل والله المستعان على ما تصفون».

1:2: طيلة الفترة الاموية والعباسية والعثمانية، كان التشيع قد تشكل وتكثفت قيمه ومفاهيمه حتى خرجت على شكل ذات تميزه. فيها من مفاهيم الاسلام ما يحافظ عليها في دائرة الاسلام فاعلية وحضورا وفيها من الغلو والتطرف ما يدعو الى تنقيته وتصفيته وتركه، وفيما عدا الدولة العبيدية في شمال افريقيا والفاطمية كامتداد لها، والبويهية ومن ثم الصفوية، فقد كانت فترات متقطعة ومتباعدة جغرافيا وزمانيا مما جعل النفسية الشيعية متحفزة ومتوترة ومقاومة، وهذه سمات وخصائص النفسية التي تحمل الممانعة والمقاومة، وهكذا تشكلت نفسية لا تقبل الاستكانة، تحمل روح المغامرة في الفكر والثقافة والاجتهاد. ولم تتعطل فيها ارادة المقاومة، حتى وهي تستكين. فقد كانت استكانتها تقية متوترة ترتقب الظرف للوثوب والحركة من جديد.

من اجل ذلك عليها تقع مسؤولية قيادة روح المقاومة في الامة والعمل على تفجيرها في كل صعيد: السياسي والمعرفي والاقتصادي والعسكري، الامة بشقيها السني والشيعي، ولن يستقيم لها ذلك حتى تحمل راية الاسلام بذاتية اسلامية قرآنية غير منحازة الا لمفاهيم وتعاليم القرآن والعمل على تطوير خطاب يستطيع استيعاب الامة على كل فئاتها وصهرها في بوتقة الاسلام الذي يعتمد الواقعة القرآنية.

5: قراءة في واقعة «الوعد الصادق»:

كل مغامرة، سواء كانت «محسوبة» او «غير محسوبة» تبقى معرضة لمفاجآت من كل جديد، والا فقد تفقد صفة المغامرة اصلا.. الكل يعلم اللبناني والعربي والاسرائيلي، ان قيادة حزب الله في لبنان، قد سبق ان اعلنت وتعلن بكل مناسبة، ان عملية التحرير لديها لن تنتهي بغير اطلاق سراح الاسرى اللبنانيين واطلاق حرية بقية الارض التي ما زالت محتلة كمزارع شبعا، فنحن ازاء عملية «الوعد الصادق» امام تفسيرين:

1: اما ان عملية اختطاف الجنود الاسرائيليين، تمت بمبادرة ذاتية وباجتهاد من حزب الله وهو يعلم الظرف الاقليمي والدولي المحرج له وللانظمة التي تربطه بها علاقات خاصة كسورية وايران، وكلاهما مطلوب من قبل الادارة الامريكية والصهيونية وقد تزامن ذلك مع ما عرف بأزمة الملف النووي الايراني.

2: واما ان اسرائيل كانت قد بيتت مع الولايات المتحدة عملية عسكرية ضد حزب الله وسورية، من اجل تطبيق قرار مجلس الامن 1559 الذي ينص على تفكيك بنية المقاومة ومن ثم الاجهاز على روح المقاومة وتمرير سياسات التسوية على القضية الفلسطينية وخاصة مشروع توطين اللاجئين في لبنان، ولما كانت القيادة الاسرائيلية على معرفة بنوايا حزب الله وتهديده باختطاف جنود اسرائيليين متى تمكن من ذلك بهدف مقايضتهم بالاسرى اللبنانيين، فقدمت اسرائيل ذلك الطعم في عملية «الوعد الصادق»، لتظهر امام الرأي العام وكأنها ضحية عملية ارهابية، ومن ثم فلها الحق في الدفاع عن نفسها. ومنذ اللحظة الاولى لعملية الاختطاف تكشفت النوايا الاسرائيلية والامريكية في توظيف كل ذلك من اجل شن حرب شاملة على لبنان وما بعد لبنان. او ما بعد بعد لبنان، واستطاعت الولايات المتحدة ان تسوق الامم المتحدة والشرعية الدولية في استصدار قرارات تدين حزب الله وتطلب تنفيذ القرار 1559، وهكذا تبين ان القضية ليست قضية جنديين ولا قضية احتلال الكويت. انما هي مبررات ومسوغات لتفريغ المنطقة من قوتها ليسهل استئصال روح المقاومة للمشاريع الاستعمارية، فليس من المعقول ان تدمر دولة بكل مرافقها المدنية وبنيتها الاساسية والتحتية وهدم المنازل وقتل المئات وجرح الآلاف وتهجير مئات الالوف من السكان الآمنين وترويع الاطفال والنساء والشيوخ، والتهديد بارجاع لبنان الى ثلاثين واربعين سنة الى الوراء مقابل عملية اختطاف جنديين بهدف تسريع عملية اطلاق الاسرى اللبنانيين من السجون الاسرائيليين، هذا الرد غير مقبول في المستوى السياسي ولا المستوى الاخلاقي.

ان التعاون والتخطيط المشترك بين اسرائيل والولايات المتحدة في هذه القضية مكشوفان ومفضوحان فتصريحات المسؤولين الامريكيين بل طلباتهم الملحة بتسريع عملية احتلال لبنان، والمحاولات العديدة لحمل اسرائيل على ضرب سورية وصفقات الاسلحة المتطورة الذي ترسلها لاسرائيل، والغطاء السياسي الذي تعطيه للموقف الاسرائيلي في المحافل الدولية، تدل دلالة قاطعة على ضلوع الولايات المتحدة في العملية العسكرية ضد لبنان.

يؤكد هذا ما كشفت عنه القناة العاشرة الاسرائيلية يوم 2006/7/22 الساعة 17,30 في برنامج اخباري، من ان صحيفة امريكية قد نشرت بعد الهجوم الاسرائيلي الاخير على لبنان، ان ثمة خطة عسكرية قد اعدتها الدولتان الاسرائيلية والامريكية قبل سنة من اليوم لمهاجمة لبنان وسورية من اجل تطبيق قرار الامم المتحدة 1559.

والسؤال الذي يطرح نفسه على بعض الانظمة العربية الراكدة التي وقفت مع القوى الغربية في هذه القضية في هذه «المغامرة غير المحسوبة» حتى ونحن نسلم بذلك او سلمنا كذلك، بأن عملية الاختطاف قد وقعت في المصيدة الاسرائيلية والمعدة سلفا، فلنا ان نسأل: الانظمة العربية «الراكدة» والشرعية الدولية واممها المتحدة، هل كانت هذه المغامرة ـ محسوبة كانت ام غير محسوبة ـ عادلة ومحقة فيما تطلبه؟ ام كانت معتدية وظالمة؟

فان كانت عادلة ومحقة فلماذا لا تقف تلك الاجهزة والمنظمات الدولية مع الحق والعدل؟ وان كانت الاخرى، فنحن نسأل «الشرعية الدولية» ألا يبيح القانون الدولي حق الدفاع عن الوطن المحتل ومقاتلة المحتلين؟ وهل اختطاف جنديين محتلين على الارض المحتلة لا يهدف الاسر والقتل وانما من اجل مقايضتهم بأسرى لبنانيين في السجون الاسرائيلية، يعد امرا ارهابيا يبيح للمحتل تدمير دولة، تدمير المؤسسات المدنية والبنى المدنية والتحتية وقتل المئات وتشريد مئات الألوف من بيوتهم؟

* * *

وماذا يريد المؤتمر الدولي في روما؟ بأي حق يملكه يبيح له تشكيل شرق اوسط جديد؟ هل يسعى لإقامة حكم الاغلبية السنية في سورية؟ وبماذا يفسر سكوته عشرات السنين عن حكم هذه الاقلية العلوية؟ ما يريده الطاغوت الغربي هو اكثرية سنية مستكينة تتناغم مع الرسميات العربية بعد ان تطفأ فيها جذوة المقاومة ويمكن التحاقها بركب «الشرعية الدولية».

يحاول الغرب وضع حدود الامة وتغيير جغرافية الانسان وموقعه في الشرق الاوسط. الغرب مجتمعا يحاول فرض ذلك والشرق الاوسط الذي يحاول نزع فتيل المقاومة من الامة يواجه هذا التخطيط بعقلية العشيرة والقبيلة، فهل سوف يرتفع انسان الشرق الاوسط ليصبح مواطنا في شرق اوسط كريم وقوي وعزيز، شرق اوسط كما يريده اهله ومواطنوه وليس كما يريده الغرب ويخطط له.

واذا كان الدين النصيحة فاني أخاطب العقلية اليهودية: ان مقولة فوكوياما «نهاية التاريخ» وهانتنغتن في «صراع الحضارات» ليستا قوانين فيزيائية، فاحذروا من انقلاب حلفائكم، فهم ينقلبون مع مصالحهم المتغيرة! واحذروا ألف مرة من تقلب التاريخ والايام، فقدموا لأنفسكم خيرا تجدوه في مقبل الايام!

* كاتب من مصر

شاهد على تدمير بيروت

يحيى أبو زكريا*

■ ربما كنت آخر الواصلين الى بيروت مساء الثاني عشر من تموز (يوليو) 2006 في الرحلة المتوجهة من العاصمة السويدية ستوكهولم الى العاصمة اللبنانية بيروت، ولا أدرى ماذا حدث بالضبط عندما كنت أحجز تذكرة السفر الى بيروت، فلأول مرة في حياتي أحجز تذكرة الذهاب دون الاياب ولم أكن أتصور مطلقا أنني سأغادر بيروت الحبيبة على متن باخرة شحن نقلتنا الى قبرص فستوكهولم في الثامن عشر من تموز (يوليو) 2006.

في الطائرة التي أقلتنا من ستوكهولم والى بيروت كان الكل مسرورا بالتوجه الى العاصمة التي أحبها الجميع فبيروت في الذاكرة العربية والراهن العربي أصبحت رمزا لكل الشيء للفكر كما للثقافة والتنوع والفن والمقاومة.. وقد ارتبط تاريخ بيروت بالصراع العربي ـ الاسرائيلي الى أبعد مدى، فبيروت ومقاوموها أنجزوا للعرب والمسلمين أول انتصار في مطلع الألفية الثالثة..

استغرقت الرحلة من ستوكهولم والى بيروت حوالي أربع ساعات أنهيت خلالها قراءة كتاب أمة من الغنم لكاتب أمريكي يعتبر فيه أن الحكومة الأمريكية تعتبر الشعب الأمريكي أمة من الغنم وأن الحكومة الأمريكية ومؤسساتها تخدع الشعب الأمريكي بوسائل اعلامية وسياسية واستخباراتية متنوعة..

كان في استقبالي في بيروت رجل على اطلاع واسع بالموقف الميداني في جنوب لبنان بادرني بالقول: لقد وصلت في الوقت غير المناسب الى بيروت، لأن حزب الله نجح في خطف جنديين اسرائيليين وقتل ثمانية، فعملية كبيرة ونوعية من هذا القبيل سيواكبها رد فعل جنوني من قبل الكيان الصهيوني، فقلت له أريد أن أخبرك أنني لم أحجز تذكرة العودة، ناهيك عن أنني عشت كل مراحل المأساة اللبنانية وسأكون بدءا من يوم غد أمام حدث سيغير مسار حركة التاريخ في العالم العربي.

في تلك الليلة أي ليلة الثاني عشر من تموز (يوليو) 2006 بلغني أن حزب الله استدعى كافة عناصره بل كل جيشه الذي لا يعرف أحد تقديره لكن بالتأكيد يفوق المائة ألف عنصر للالتحاق بمواقعهم، كل في موقعه المقاوم العسكري في موقعه والراصد في موقعه والاعلامي في موقعه وأعترف أن حزب الله يملك قدرة رهيبة على تنظيم نفسه وقد حمى نفسه من الاختراق الأمني الكامل سواء أكان اختراقا محليا أو اقليميا أو دوليا...

عناصر جيش حزب الله كلهم مؤمنون عقائديون هاجسهم الدعاء والعبادة وقراءة دعاء كميل في ليالي الجمعة وهم يعشقون الشهادة كما يعشق الصهاينة الحياة، ويملك معظمهم خبرة قتالية عالية لأبعد مدى..

وفي نفس الليلة صدر أمر باخلاء الضاحية الجنوبية وكافة المؤسسات التابعة لحزب الله وذلك مؤشر على أن حزب الله أخذ في حساباته السياسية استهداف مراكزه كل مراكزه وأبعد منها.

اذن هي أجواء حرب تسود لبنان وهل هناك أخبر من حزب الله في معرفة تفاصيل النيات الاسرائيلية....

قمت بجولة ميدانية في الضاحية الجنوبية ليلة الثاني عشر من تموز، كان الناس كل الناس على أهبة الاستعداد لمواجهة الكيان الصهيوني، عجوز قالت لي: اللهم خذ عمرى وأطل عمر حسن نصر الله زعيم المقاومة الاسلامية في لبنان. كان الناس يستعدون لمغادرة الضاحية وتحديدا العوائل باتجاه الجبل في بحمدون والقماطية وكيفون وعاليه وغيرها، وأنا أتجول في الضاحية الجنوبية طلب مني عنصر من عناصر حزب الله هناك بترك الضاحية فورا حفاظا على سلامتي لأنه كان يشاهد بعض برامجي في قناة الجزيرة وغيرها من الفضائيات العربية، فقلت له واذا غادرت المكان فمن ينقل صمودكم وجهادكم ضد الكيان الصهيوني الذي يذبح اخوتنا في فلسطين الى الرأي العام العربي والدولي!

وبعد لقاءاتي المتعددة والمتنوعة تشكل لدي انطباع بأن لبنان مقبل على عاصفة ليست كالعواصف السابقة، وتسنى لي أن أنام ساعتين فقط في تلك الليلة بين الساعة الرابعة والى السادسة..

وأعترف أنه بعد الاتصالات التي أجريتها بمختلف المصادر تكون لدي انطباع حقيقي بأننا على أبواب حرب ضروس لأن الكيان الصهيوني صفع في عموده الفقري والذي هو المؤسسة العسكرية، غير أنني لم أتصور أن الابادة الاسرائيلية ستكون بهذه الطريقة للبنان، فقد غطيت كل المآسي اللبنانية وأعترف أن ما شاهدته بدءا من الثالث عشر من تموز في لبنان فاق كل مشاهداتي المأساوية السابقة...

في الثالث عشر من تموز قمت بجولة أخرى في ضاحية بيروت الجنوبية وأجريت اتصالا بالصديق العزيز غسان بن جدو مدير مكتب الجزيرة في بيروت وقد نصحنى غسان بضرورة ترك بيروت فورا لأن المنطقة مقبلة على تطورات دراماتيكية، لم أسمع لنصحيته لأن الصمود في هذه الحالة يصبح واجبا، كنت على موعد مع صحافي في تلفزيون «المنار» لكن قبل وصولي الى هناك بعشر دقائق قصف مبنى التلفزيون عن بكرة أبيه، انها الحرب اذن قد بدأت فعليا...

تقديرات البعض في بيروت كانت تشير الى أن اسرائيل ستستهدف مؤسسات حزب الله، لكن الذي حدث أنها دمرت لبنان من أقصاه والى أدناه ، فمطار بيروت الدولي الذي كنت أتابع قصفه من الجبل اللبناني في بلدة كيفون التي تطل بشكل كامل على ضاحية بيروت الجنوبية حيث تصبح الضاحية أمامك كلوحة محترقة تحولت الى مكان للأشباح، ولم تشبع الآلة الحربية الصهيونية من حرق صهريج واحد للوقود، فقامت بقصف كل الصهاريج التي ظلت النيران تشتعل فيها لمدة خمسة أيام..

لم تدع اسرائيل أي شيء على حاله في لبنان، فقد دمرت البيوت والطرق والجسور ومحطات الكهرباء وسعت الى تفكيك الجغرافيا اللبنانية تفكيكا كاملا، وفصلت كل المناطق عن بعضها البعض ليتسنى لها لاحقا كما تزعم الانقضاض على رجال المقاومة بعد حرمانهم من الامدادات..

وعندما قصفت اسرائيل جسر المطار الواقع في بلدية الغبيري كنت متواجدا في نفس المكان على بعد 500 متر شعرت كأنني أقفز فوق الأرض تلقائيا، فالصواريخ التي تقصف تحفر الأ